

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه خمسون فائدة من كتاب/المحدّث عبدالله الدويش سيرته وأخباره وجهوده العلمية.

تأليف/نواف بن عبيد الرعوجي ، وقد أهداني نسخةً منه -جزاه الله خيراً- .

وقد قرأت الكتاب بحمدالله ثلاث مرات واستمتعت وأنست كثيراً بمطالعتة، وفيه معلومات ثرية عن الشيخ المحدّث/عبدالله الدويش رحمه الله، فكم تمنيت لقاء الشيخ والقراءة عليه، لكن لم يتيسّر لي السماع به إلا بعد موته، وكان سبب سماعي بالشيخ الدويش أنّي كنت في يوم الخميس ٣٠/١/١٤١٣هـ في بيت شيخنا العالم الفقيه ابن عثيمين رحمه الله فسألته في لقاء الباب المفتوح عن كتاب/في ظلال القرآن لسيدقطب، فأجاب بأنّ الكتاب تفسير أدبي ويميل للأساليب الأدبية، وفيه علوم نافعة، وفيه أخطاء كثيرة، وقدنّبته عليها الشيخ عبدالله الدويش رحمة الله عليه، فيحسن لك أن تراجعهُ".

فهذا أول سماع لي بالشيخ عبدالله الدويش من شيخنا ابن عثيمين رحمهم الله، فبادرت لشراء كتابه الذي ردّ به على الأخطاء العقديّة في ظلال القرآن: "المورد العذب الزلال في التنبيه على أخطاء الظلال" وقرأته كاملاً، ثمّ بعد ذلك تيسّر لي الحصول على مجموعة مؤلفات الشيخ عبدالله الدويش عن طريق أحد المشايخ في بريده جزاه الله خيراً، إذ كان يوزعها آنذاك في عام ١٤١٤هـ، وجالست بعض طلاب الشيخ رحمه الله، وأخذت عن بعضهم شيئاً من سيرته وأخباره في جلده في طلب العلم وحفظه لمتون السنّة وغيرها، إضافةً لعبادته وزهده العجيب في أمرالدنيا، وعدم مبالاته بشأنها، وأخلاقه الحسنة وتواضعه وغير ذلك.

مع التتبع لسيرته وأخباره، إلى أن أخبرني الشيخ نواف الرعوجي حفظه الله بعزمه على تأليف كتابٍ عن الشيخ لجمع أخباره وسيرته العلمية ففرحت بذلك وزودته بمالديّ وهوشى يسير ممّا سمعته عن سيرة الشيخ رحمه الله لا يقارن بما عند تلامذته ومن صحبه في أسفاره ورحلاته وأكرمني جزاه الله خيراً بنسخةٍ من الكتاب، فقرأته وكتبت بعض الفوائد من سيرة هذا العالم العامل التقى الزاهد، وهذه بعض الفوائد التي دوّنتها من قرآءتي:

١- تولى الشيخ -رحمه الله- إمامة أحد المساجد في الزلفي في أول حياته، وكان عمره ستة عشر عاماً. (ص ٢٢).

٢- نبوغه المبكر، حيث كان يرّد على المدرّس الذي علّمهم القرآن إذا أخطأ في قراءة بعض الآيات وهو في المرحلة الابتدائية؛ ممّا حدا بالطلاب أن يطلبوا من المدرّس أن يجعل الدويش هو الذي يقرأ القرآن، ويردّ على الطلاب بدلاً منه، فوافق المدرس على ذلك. (ص ٢٣).

٣- من صفاته: التواضع، فقد كان يذهب للقراءة على مشايخه في بريده حتى بعد ذبوع أمره واشتهار حاله، ولم ينقطع عنهم، مع أنّه قد يكون أعلم من بعضهم، وكان أحد مشايخه إذا أشكلت عليه مسألة التفت إليه وقال: ماذا تقول: يا عبد الله؟ فلا يجيب بصوت مرتفع؛ حتى لا يسمعه الحضور، وإنما يهمس في أذن الشيخ. (ص ٤٩).

٤- من سعة حفظه/أنّ أحد الطلاب سأله عن مسألة فالتفت ولم ير أحداً، فأجابه بالجواب، وأخبره عن اسم الكتاب والصفحة والسطر". (ص ٥٠).

٥- من حسن أخلاقه/أنّه كان إذامرّ بأحدٍ في الطريق حمله معه في سيارته، وكان يتبسّط مع طلابه في السفروالرحلات، فذكر أحد طلابه أنّهم في إحدى الرحلات جعلوا سباقاً بين الحاضرين، ففاز الدويش بالمركز الأول، وأنهم وضعوا مسابقة في القفز، وأخذ الدويش المركز الأول. (ص ٥٢).

وفي ص ٥٣/ذكر أحد طلابه أنّهم كانوا بعد العمرة يذهبون إلى جدة صباحاً؛ للسباحة في البحر، ثمّ يذهبون بعد ذلك للمدينة.

٦- كان لا يجب الشهرة والظهور، يقول أحد طلابه: "لم يكن الدويش يحمل رخصة قيادة، وفي أسبوع المرور صادفته نقطة تفتيش، فأخذوه مع المخالفين إلى التوقيف، ومضى عليه نصف يوم وهو صامت، ولم يقدّم نفسه كعالمٍ أو شيخ؛ حتى يوقروه، بل انشغل بقراءة القرآن والصلاة، وبعد أن بحث عنه طلابه عدّة ساعات جاءهم الخبر، فتوجهوا إلى مكتب مدير المرور، وشرحوا له

الحال عاتبين عليه احتجازه، فأوضح لهم أن صاحبهم لم ينطق بكلمة واحدة ولم يكشف عن حاله". (ص ٥٤).

٧- من المواقف المؤثرة مع الشيخ عبدالله رحمه الله أنّ أحد طلابه فقد حذاءه عند الخروج من الحرم، فناداه الشيخ، وخلع له حذاءه وأخّ عليه أن يلبسه ومشى حافياً رحمه الله. (ص ٥٥).

٨- زهده في الدنيا مع أنّها قد عرضت عليه من عددٍ من الناس ولكنه كان يأبأها، وقد حاول كثير من إخوانه معه على أن يدخل في بعض المشاريع الدنيوية فكان يأبى ويرفض، وكان يقتات من مشروعٍ صغيرٍ اشترك فيه مع أحد طلابه، وأنه كان يحرص أشد الحرص أن يبعد هذا المشروع التجاري كلّ البعد عن كلّ ما يشتهه فيه. (ص ٥٧).

٩- حرصه على الوقت في العلم وتعليمه: فقد ذكر أحد طلابه أنه كان يوصل الشيخ إلى بيته بعد انتهاء الدرس بعد صلاة الظهر، وفي الطريق يتباحث معه مسائل في الفرائض، ويعطيه مسائل أخرى ليحلّها إلى الغد، ويأتي الغد وقد حلّ هذه المسائل، فيصححها الشيخ، وكلّ هذا أثناء الطريق الذي لا يتجاوز ربع ساعة. (ص ٦٠).

١٠- ومن ذلك/أنّه طلب من أحد طلابه أن يقرأ عليه "مراقي السعود" في أصول الفقه قبل مرضه بأيام، ومات ولم تقرأ عليه. (ص ٦١).

١١- من شدة حرصه على وقته في القراءة/أنّه جلس مدّة طويلة في مسجد الحميدي المطوع في غرفة صغيرة جداً، أرضيتها تراب، وكان يقرأ الساعات الطوال، حتى إنه دخل مرة في غرفته في المسجد ولم يخرج سوى مرةٍ آخر النهار، فنظر إلى الشمس وقال: إنّ الوقت يطير طيراناً. ص ٦٤

١٢- ومن ذلك/أنه كان في السفر راكباً في حوض الجمس ومعه كتاب، فكان إذا رأى ضوء سيارةٍ قادمة رفع كتابه وقرأ على ضوءها. (ص ٦٤).

١٣- يقول أحد تلاميذه: "خرجنا إلى الحرم قبل الفجر بساعة فوجدنا الشيخ الدويش في التوسعة، وهو مضطجع وكتابه قد سقط على وجهه من الإرهاق والتعب". (ص ٦٧).

١٤- يقول أحد تلاميذه/ لم يكن الكتاب يفارق يده أبداً، وكان يقرأ في السيارة، فإذا تعب قرأ عليه أحدنا، وكنا في الحج في منى نضع له لمبة في المخيم، فيقرأ على ضوءها، وإذا غلبنا النوم واصل هوحى يغلبه النوم في منتصف الليل". (ص ٦٨).

١٥- ويقول آخر: "في طريق عودتنا بعد قضاء مناسك الحج توقفنا للنوم في الطريق، وكانت ليلة الرابع عشر من ذي الحجة، فنام الجميع إلا الشيخ عبدالله الدويش، أخذ يطالع كتابه، ويقرأ على ضوء القمر ولم ينام". (ص ٦٩).

١٦- يقول أحد تلاميذه: "تمتّع الدويش بحافظة نادرة، واستظهار للنصوص والشروح التي تتكرّر على سمعه عشرات المرات، وكان رياض الصالحين من محفوظاته؛ ولهذا كان من المعتاد أن يصحّح أخطاء بعض النسخ التي يسقط منها حديث أو أكثر، ومرةً لفت نظراً أحد طلابه عندما كان يقرأ عليه في "فتح المجيد" بأن هناك فقرات مفقودة من تلك الطبعة، ومرة أخرى تبه أحد طلابه الذي يسمّع عليه "منتقى الأخبار" للمجد ابن تيمية. (ص ٧٢).

١٧- سأله أحد طلابه عن مسألة في الحج فأجابته بقوله: قال البخاري.. ثم ذكر تبويب البخاري، والآية التي استدللّ بها البخاري، والأحاديث المعلقة والمسندة، وكان هذا في بيته عام ١٤٠٥ هـ تقريباً. (ص ٧٢).

١٨- من حفظه لمتون السنة أن بعض طلابه كانوا يمسكون له في مسند الإمام أحمد وسنن الدارمي. (٧٢)، وطلب من أحد طلابه أن يسمّع له في سنن أبي داود والنسائي؛ حتى يراجع حفظه. (ص ٧٥).

١٩- كان يسمّع على الشيخ صالح البليهي في اليوم ٥ صفحات من كتاب/الإقناع، قال البليهي : ولم يمرّ عليّ طالب قبله في ذلك. (ص ٧٣).

٢٠- كان الدويش يسمّع على البليهي كتاب الروح لابن القيم حفظاً ويسرده سرداً، حتى إن البليهي كان يحاول اللحاق به في القراءة!!! (ص ٧٣).

٢١- ومن ذلك/ أنه كان مع بعض طلابه في السفر لأداء مناسك العمرة، وفي الطريق أراد بعض الطلاب اختبار ضبط الشيخ للسند والمتن، فبدءوا بالقراءة عليه في صحيح البخاري مع خلط الأحاديث بعضها ببعض، والشيخ منصت لهم، فلما انتهوا من ذلك، أعاد قرأتها مرتبة السند والمتن، ونحن نتعجب من ذلك". (ص ٧٦).

٢٢- كان من عاداته رحمه الله عند بحثه لمسألةٍ من المسائل ألاّ يستعين بفهارس الكتب، وإنما يذهب مباشرةً إلى موضعه بسرعةٍ فائقةٍ، وكأنّ الكتاب بين يديه". (ص ٧٧).

٢٣- الحلم الذي اتصف به الشيخ/ ما حدث به أحد طلابه: أتهم مرةً في السفر توقفوا للصلاة، وكان معهم شخص يحب المزاح، فقام برشّ الماء على زميله وهرب، وجاء صاحبه ليردّ عليه ومعه ماء، وظنّ أنّ صاحبه واقف معه في الصف، فصبّ الماء عليه، وإذا هو الشيخ عبد الله الدويش، فأكمل الشيخ الصلاة ولم يقطعها، ولم يقل له شيئاً ولم يعنّفه، بل ولم يسأل عن من فعل هذا، وقد كان الرجل محرجاً وخائفاً أن يسأل عنه الشيخ بعد الصلاة. (ص ٧٨-٧٩).

٢٤- الصبر/ صبره على الغربة في طلب العلم وترك البلد والأهل والجلوس وحيداً في غرفة مسجده، وسهر الليالي في المطالعة وقضاء النهار في الطلب، والمثابرة في غرفة مسجد أرضيتها تراب وفيها سراج صغير. (ص ٧٩).

٢٥- صلته للرحم: فقد كان يزور أهله كلّ شهرٍ وخاصّةً عمّاته وخالاته في الزلفي، على ضعف المواصلات في ذلك الوقت. (ص ٨٣).

٢٦- عبادته: فقد كان لا يخرج من المسجد يوم الجمعة من طلوع الفجر حتى تغرب الشمس التماساً لساعة الإجابة، وكان يخرج أحياناً بعد صلاة الجمعة يسيراً إلى البيت؛ ليجدد وضوءه ويتناول شيئاً يسيراً من الطعام ثمّ يعود إلى المسجد، ويمكث فيه حتى تغرب الشمس" (ص ٨٦).

٢٧- وذكر أحد طلابه أنه كان يأتي إلى المسجد قبل الأذان، ولا أذكر أنه أذن المؤذن إلاّ والشيخ عبد الله في المسجد، وكان مكانه خلف الإمام. (ص ٨٧).

٢٨- وذكر أحد طلابه: أنّ الشيخ فهد العبيد نصح الدويش ألاّ يثقل ويكثر على نفسه في العبادة، وأن يعطي نفسه فسحة؛ وهذا لما سمع عن كثرة عبادته". (ص ٨٨).

٢٩- وكان رحمه الله يقسم الليل ثلاثة أجزاء، قسم ينامه، وقسم يطالع فيه، وقسم يصلي فيه، وهو القسم الذي قبل الفجر. (ص ٩١).

٣٠- وكان يجعل ورده من القرآن في الليل غير قراءته التي يقرأها في باقي يومه. (ص ٩٢).

٣١- وذكر أحد طلابه أنّه قال له قبل وفاته بنصف سنة تقريباً: كنت جالساً في جنب الشيخ في ضحى يوم جمعة في جامع الحبيبية "حي الصفا" فالتفت إليّ وقال: إنني خائف من فتن هذا الزمان، وأسأل الله أن يقبضني إليه غير مفتون، فتوفي الشيخ بعد هذا الدعاء بستة أشهر". (ص ٩٤).

٣٢- ورعه/ كان يتورّع عن بعض المعاملات، حيث كان شريكاً لأحد الأشخاص في بيع وشراء السيارات، وكان يطلب منه عدم التعامل بالتورق؛ لأنه كما يراه حيلةً على الربا" (ص ٩٧)

٣٣- وكان لورعه يتحاشى أن يمرّ في طريق شُقّ فوق عقارٍ لم يرض صاحبه بالتنازل عنه وقبول الثمن. (ص ٩٩).

٣٤- أمّا خوفه من الله، فهذا ممّا يقضى منه العجب/ فقد كان أحد تلاميذه يقرأ عليه كلاماً لابن القيم عن آثار الذنوب على العبد في نفسه ورزقه وأهله، وأنه كان مستغرقاً في القراءة، ورفعت رأسي وإذا بالشيخ عبد الله تدمع عينه، وهو يقول مردداً: "آه إنّ القلوب قاسية، استعيذوا بالله من أمراضها، تعوذوا بالله من ذنوب الخلوات". (ص ١٠٠).

٣٥- من قوة حفظه للقرآن/ أنّه صلّى بالناس صلاة التراويح ثلاث مرات، مرةً في مسجد الرشودي في أول أمره، وصلّى مرتين في مسجد الضالع، ولم يخطئ في القراءة في المرات الثلاث إلاّ مرةً واحدةً". (ص ١٠٣).

٣٦- وكان يخفي عمله/فقد ذكر أحد طلابه أنه قبيل الأذان يختبئ، ثم يخرج من جيبه تمرّة، ويفطر عليها، ولا يشعر به إلا صاحب الملاحظة القوية". (ص ١٠٥).

٣٧- ومن تبجيله وتقدير لأئمة الدعوة النجدية/أنّ الشيخ عبدالله الدويش أثناء مرضه طلب منه الردّ على من بدّع ختمة القرآن، وقال: يا أخ عبدالله، ردّ عليهم، ولي وقفة، وهي: أنّ أئمة الدعوة جميعاً يعرفون هذا العمل ولا يبدعون، وهم من يبيّن البدع والشرك والخرافات، وكيف لا يبينون مثل هذا العمل؟" (ص ١١٩-١٢٠).

٣٨- إكرامه للطلاب/ففي بواكير دروسه العلمية كان الطلاب يأتون إليه في بيته للقراءة عليه ويقرأون عليه المطولات والمختصرات، وكان الشيخ الدويش يقوم بتقديم شاي الزنجبيل بنفسه للطلاب أثناء القراءة. (١٧١-١٧٢).

٣٩- ومن حرصه على طلابه/ما ذكره أحدهم أنه سافر مع الشيخ عبدالله الدويش وتأخّر هو وصاحب له عن الرجوع للمخيم، ولما عادا وجد الإخوة قد ناموا، إلاّ الشيخ فقد كان جالساً ينتظرهم، فسألهم عن سبب التأخير، ثمّ قام وسخّن العشاء وقدمه لهم. (١٩٣).

٤٠- من قوة حافظته/أنه قرأ المنتقى للمجد ابن تيمية على شيخه صالح الخريصي حفظاً، ولما أراد الدويش أن يقرأ عليه السنن أبي؛ خشيةً عليه من العين". (ص ١٤٠).

٤١- ومن ذلك غيرته على مسائل العقيدة/فقد ذكر أحد طلابه أنّ الدويش لما بلغه تضعيف أحدهم لحديث: "خلق الله آدم على صورة الرحمن غضب، ثمّ قال: أما يخشى أحدكم أن يكون جهميّاً وهو لا يدري؟ أو نحواً من هذا". (ص ٢٠٦).

٤٢- في مرض موته: لما علم الناس بمرضه جاءوا يسلمون عليه ويزورونه وتزاحموا عليه، فقال لهم: أرفقوا، أرفقوا، فأنتم لا تجتمعون على الإمام أحمد". (ص ٢٣٩).

٤٣- ذكر أحد محبّي الشيخ الدويش: أنّه قال له في مرضه الأخير: رأيت في المنام كأنّ أحداً طعنني من ظهري". (ص ٢٤١).

٤٤- وتأثر بعض من زاره في أثناء مرضه وبكى، فقال له الشيخ الدويش بصوتٍ مبحوح وخافت: لماذا تبكي؟ الله يهديك! فقال الرجل: من أجل الحال والتعب الذي أنت فيه، فقال له: الحمد لله الذي ابتلاني في جسدي ولم يبتلني في ديني، وكانت هذه آخر الكلمات التي تحدث بها مع الناس". (ص ٢٣٩-٢٤٠).

٤٥- ممن كان حاضراً للصلاة على الدويش وتشيعه الشيخ محمد بن عثيمين رحمهما الله (ص ٢٤٠).

٤٦- توفي الشيخ عبدالله الدويش قبيل مغرب السبت ٢٧/١٠/١٤٠٨هـ، وقام بتغسيه وتكفينه الشيخ فهد العبيد، وصلى عليه فجر يوم الأحد ٢٨/١٠/١٤٠٨هـ في مسجد الشيخ صالح الخريصي، وهو من أم الناس للصلاة عليه، ولم يسع المسجد للحاضرين للصلاة عليه.

٤٧- يقول عنه شيخه محمد العليط: "بينه وبين حافظ حكيمي تشابه في قوة الذكاء، وكلاهما مات وهو شاب، وهو حافظ متقن، وعالم جليل، كنت أمسك له ما يحفظ، وكان يحفظ في صحيح مسلم، والروض المربع في الفقه". (ص ٢٤٩).

٤٨- وقال عنه شيخه صالح البليهي: "لم أر مثله في طلب العلم، فقد كان كبار طلاب العلم يعجزون أن يحفظوا مثله، وهو يقرأ ويحفظ بكل يسرٍ وسهولةٍ، ولوعاش لكان له شأن" ص ٢٥٠.

٤٩- وعظ الشيخ فهد العبيد الناس عند قبر الدويش بعد دفنه موعظةً مؤثرة، وذكر أن هذا طريق سلكه قبله الأنبياء. وكانت موعظةً مبكية. (ص ٢٤٥).

٥٠- قال أحد طلابه/إبيّ أدعو له في كلّ يوم؛ فله علي فضل لا أنساه". (ص ٢٥٠).

رحم الله الشيخ المحدث/عبدالله الدويش ورفع درجته في عليين. وصلى الله وسلّم على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه/أبمن بن سعود العنقري في ٢٠/١٠/١٤٣٩هـ .